

## الباب الثالث

القرطبي وابن عاشور وتفسيرهما عن التفقه في الدين في سورة التوبة الآية: ١٢٢

أ. ترجمة القرطبي، كتابه، وتفسيره

١. ترجمة القرطبي

إسمه الكامل هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي.<sup>١</sup> ولد القرطبي - رحمه الله تعالى - بقرطبة، إحدى مدن الأندلس الكبرى، ورافد هام من روافد الثقافة الإسلامية والعلوم الشرعية والعربية. وإن كنا نعلم سنة وفاته وهي ٦٧١ هـ فإن كتب التراجم والمصادر التي بين أيدينا سكنت عن تاريخ مولده، كما سكنت عن تريخ رحلته المشرقية، ولم تنطق بشيء يدور حوله، ولا عن طفوله وسني حياته الأولى. ولعل ذلك يرجع إلى مكانة أسرته الإجتماعية، من حيث المستوى الثقافي والسياسي والمعيشي، إذ كان والده فلاحاً، لا هم له - بعد الإمام بمبادئ الإسلام العامة - إلا حرث الأرض وزاعتها وتشجيرها، كما أخبر بذلك ابنه أبو عبد الله القرطبي، حينما بين كيفية وفاته وانتقاله إلى جوار

به.<sup>٢</sup>

---

<sup>١</sup> محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، جزء ٢، (القاهرة: مكتبة وحب، دون التاريخ)، ٣٣٦.  
<sup>٢</sup> مفتاح السنوسي بلعم، القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، (بنغازي: دار الكتب الوطنية، ١٩٩٨)،

القرطبي هو إسم منطقة في الأندلوس (الأسبانية الآن)، وهي القرطبة، نسب إلى الإمام أبو عبد الله محمد، المكان الذي ولد فيه .في العرابية كُتب Cordoba = قرطبة. أما "المالكي" هو مذهب الإمام القرطبي.<sup>٣</sup> هو المفسر الفذ الذي نذر حياته للعلم والتأليف والعبادة.<sup>٤</sup> وبعد أن قابل القرطبي كبار علماء الإسلام في الإسكندرية والجزيرة بالديار المصرية، استقر أخيرا في مدينة بني الخصب (المنيا حاليا) في شمال أسيوط بصعيد مصر الأدنى. وقد توفي ودفن بها ليلة الاثنين التاسع من شوال ٦٧١ هـ، الموافق ٣١ من مارس سنة ١٢٧٣ م. رحمه الله تعالى.<sup>٥</sup>

## ٢. نشأته العلمية وشيوخ القرطبي

كان نظام التعليم في البلاد الإسلامية في عصر القرطبي يبدأ فيه الولدان بحفظ القرآن الكريم إلى جانب تعليم مبادي القراءة والكتابة. وبعد أن يتم الطالب حفظ القرآن الكريم يتجه إلى دراسة القراءات، والحديث، والفقه، واللغة، والنحو... الخ إلى أن تكون له شخصية ثقافية عظيمة، لها وزنها في المجال العلمي.<sup>٦</sup>

كان أكثر شيوخ القرطبي قاضيا وأهل الفقه والحديث والعربية ونحو ذلك. ومن الشيوخ الذين يربون القرطبي.<sup>٧</sup>

<sup>3</sup> Mohammad Arja Imroni, *Konstruksi Metodologi Tafsir Al-Qurthubi*, (Semarang: Walisongo Press, 2010), 65.

<sup>٤</sup> شريفة زغيشي، منهج القرطبي في التعامل مع الحديث وأثره في تفسيره لأيات الأحكام، تحقيق: مسعود فلوسي، (باتنه: جامعة الحاج لخضر، ٢٠١٢)، ٢.

<sup>٥</sup> مفتاح السنوسي بلعم، القرطبي: حياته وآثاره العلمية، ..... ٩٦.

<sup>٦</sup> مفتاح السنوسي بلعم، القرطبي: حياته وآثاره العلمية، ..... ١١٩.

<sup>٧</sup> شريفة زغيشي، منهج القرطبي في التعامل، ..... ١٦-١٧.

- أبو جعفر أحمد بن محمد القيس وهو أهل القرائات والعرايبة.
- أبو سليمان ربيع بن عبد الرحمن بن ربيع الشرعي، وهو أهل الحديث، الفقه، والعقيدة (المتوفي. ٦٣٢)
- و أما شيوخه بمصر:<sup>٨</sup>
- المحدث رشيد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن فتوح الإسكندراني المالكي، وقد أخذ عنه القرطبي علم الحديث وروى عنه.
- أبو الحسن علي بن هبة الله بن الجميزي وكان من أعلام الحديث والفقه والقرائات وكان مذهبه الشافعي.
- أبو عباس أحمد بن عمر بن إبراهيم المالكي القرطبي صاحب المفهم في شرح صحيح مسلم.<sup>٩</sup>
- أبو علي الحسن بن محمد بن محمد البكري النيسابوري، وهو المحدث العالم المفيد الرحال المصنف من صدر الدين.

٣. مصنفاته

ألف القرطبي عددا من المؤلفات النافع في التفسير، والحديث، والقراءة، وغيره. ومنهم:<sup>١٠</sup>

أ. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان

<sup>٨</sup> شريفة زغيشي، منهج القرطبي في التعامل، ..... ١٨-٢٠.

<sup>٩</sup> محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ..... ٣٣٦.

<sup>١٠</sup> أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جزء ١، ..... ل، شريفة

زغيشي، منهج القرطبي في التعامل، ..... ٢٢-٢٥.

ب. كتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسني

ج. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة

د. قمع الحرص بالزهد والفتاة، ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة

هـ. كتاب المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس

و. التذكار في أفضال الأذكار

ز. أرجوزة جمع فيها أسماء النبي صلى الله عليه وسلم

٤. نبذة عن الكتاب

كتاب التفسير الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان. وفي مقدمته قيل أن هذا الإسم من نفسه.<sup>١١</sup> وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعا، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن، وأسبب الأدلة، وذكر القراءات والإعراب، والناسخ والمنسوخ.<sup>١٢</sup> تفسير القرطبي أشهر كتبه وأعظمها نفعا كما تقدم، وقد أوضح القرطبي سبب تأليفه بقوله: ( فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء والأرض رأيت أن أشتغل به مدى عمري، وأستفرغ فيه منتي).<sup>١٣</sup>

<sup>١١</sup> أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جزء ١، ( الرياض: دار عالم الكتب: ٢٠٠٣)، .....ل.

<sup>١٢</sup> أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جزء ١، .....ل.

<sup>١٣</sup> عامر بن عيسى اللهو، منهج الإمام القرطبي في تفسير آيات الأحكام في كتابه (الجامع لأحكام القرآن)، (دون

المكان: ١٤٢٩)، ٣.

٥. النظام، الطريقة وألوان، المصدر والمراجع القرطبي

أ. نظام الكتابة

تستخدم منهجيات الكتابة تفسير القرطبي المنهجيات المصحفي، وقد أسس النتائج وفقاً لترتيب المخطوطات، أي من سورة الفاتحة إلى سورة الناس. يبدأ كتاب التفسير بمقدمة.<sup>١٤</sup> تحتوي المقدمة كما يلي:<sup>١٥</sup>

١. سبب الذي دفعه لكتابة التفسير.
٢. إقرار بالتزامه الأمانة العلمية في نقوله بإلحاق القول إلى قائله، الحديث إلى مصنفه.
٣. توكيدا عن إهتمامه في إخراج الأحاديث النبوية الشريفة التي استعان بها في تفسيره
٤. أشار إلى إعرطضه في هذا التفسير عما جاء من غرائب القصص وردة على كلام الغلاة من أهل الزيغ والضلالات وأخبار المؤخرين التي لا فائدة منها.
٥. عرض الجانب الفقهي في الآيات التي تحتوي على الشريعة مع التأكيد.
٦. يستخدم تفسيره في مختلف اللغات، والإعراب، والقراءات وبيان ما جاء من أسباب نزول الآيات وشرح غريب ألفاظها، وبيان كونها مكية أو مدنية.

<sup>14</sup> Moh. Jufriyadi Sholeh, "Tafsir Al-Qurthubi: Metodologi, Kelebihan, dan Kekurangannya", *Jurnal Reflektika*, Vol. 13, No.1, Januari-Juni, 2018, 52.

<sup>١٥</sup> شريفة زغيشي، منهج القرطبي في التعامل ،.....، ٢٧-٢٨.

ثم أعطى الإمام القرطبي بابا خاصا في الاستعاذة والبسملة. وقد تناول القرطبي في باب الاستعاذة اثنتا عشرة مسألة متعلقة بها، وفي باب البسملة عشرون موضوعاً يتعلق بها أيضاً.<sup>١٦</sup>

بعد إعطاء المقدمة، بدأ القرطبي في تفسير آيات القرآن وفقاً لترتيب الحروف والآيات في المصحف. وعموماً فهو يفسر القرآن بعرض آية أو أكثر في البحث حسب ترتيب المصحف. بعد ذلك قام بتفصيل المشاكل المرتبطة بالبحث.<sup>١٧</sup>

كان الخطوات القرطبي في تفسير القرآن فيما يلي:<sup>١٨</sup>

١. ذكر فضائل أو امتيازات حرف القرآن الذي يبحثه. عند دخول القرطبي السور في القرآن يبدأ بذكر فضائل أو امتيازات هذه السور. كما بحث أسماء الحروف ، من حيث نزوله، دراسة للشرائع في الآيات التي بحثت
٢. ذكر أسباب نزول الآيات التي تحتوي على أسباب نزولها.
٣. ذكر الآيات والأحاديث النبوية الأخرى ذات الصلة بذكر مصادرها كدليل
٤. تقديم تحليل للغة المستخدمة في الشعر العربي باستخدام القصائد العربية كمرجع للدراسة.
٥. اقتباس آراء العلماء وذكر مصادرها كوسيلة لشرح الأحكام المتعلقة بالموضوع المطروح.

<sup>16</sup> Moh. Jufriyadi Sholeh, "Tafsir Al-Qurthubi: Metodologi, Kelebihan, ..... 53.

<sup>17</sup> Moh. Jufriyadi Sholeh, "Tafsir Al-Qurthubi: Metodologi, Kelebihan,..... 53.

<sup>18</sup> Moh. Jufriyadi Sholeh, "Tafsir Al-Qurthubi: Metodologi, Kelebihan, ..... 53.

٦. مناقشة أقوال العلماء مع حججهم ، وبعد ذلك الترجيح بأخذ الرأي الراجح.

### ب. منهج وألون التفسير

بالنسبة للمنهج الذي استخدمه القرطبي في كتاب تفسيره، فإنه استخدم منهج التحليلي، حيث قام القرطبي بتفسير الآيات وتحليل شرحها بتفصيل من مختلف الجوانب وترتيب الآيات. وفيما يتعلق بنمط التفسير، فإن القرطبي يميل بشكل أكبر لتفسير المسائل الفقهية، وبالتالي يمكن أن نعرف أن كتاب تفسيره يتميز باللون الفقهي.<sup>١٩</sup>

### ج. مصدر ومراجع القرطبي

يُصنف تفسير القرطبي على أنه تفسير بالإقتراحي ، وهو يجمع بين أساليب بالمأثور والرأي، أي من الآيات، والأحاديث النبوية، ثم يتفحص أيضًا الآيات من جهة لغوية باستخدام الشعر العربي كمرجع. وبحسب السيد محمد علي إيازي في كتابه "المفسرون حياتهم ومنهجهم"، فإن القرطوبي يميل إلى استخدام تفسير الرأي ، ويجعله منهجًا في هذا الصدد. ومع ذلك، فهو أيضًا لا يغفل تفسير المأثور ، بل أوضح أنه في الواقع هو الأساس الرئيسي الذي يعتبره المفسر. ثم أوضح أنه يتفق مع منهج تفسير المأثور من النبي.<sup>٢٠</sup>

ومن مراجع القرطبي كما يلي:<sup>٢١</sup>

<sup>19</sup> Cut Fauziyah, "At-Tijarah (Perdagangan) Dalam Al-Qur'an (Studi Komparatif Tafsir Jami' Li Ahkam Al-Qur'an dan Tafsir Al-Misbah)", *Jurnal At-Tibyan*, Vol. II, No. 2, 1 Juni 2017, 80.

<sup>٢٠</sup> محمد علي إيازي، المفسرون وحياتهم، مجلد ١، (طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٣٨٦)، ٤١٢.

<sup>21</sup> Moh. Jufriyadi Sholeh, "Tafsir Al-Qurthubi: Metodologi, Kelebihan", ..... , 55-56.

- المحرر الوجيز لإبن عطية (المتوفي ٥٤٦)
- النكات والعيون للماوردي (المتوفي ٤٥٠)
- بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (المتوفي ٣٧٥)
- معالم التنزيل لإمام البغوي
- الوسيط للواحددي
- أسباب النزول للواحددي
- معاني القرآن، إعراب القرآن، والناسخ واللسوخ لأبي جعفر النحاس
- التمهيد، الإستذكار، الكافي، الدرر في إختصار المغازي والسير لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (المتوفي ٤٦٣)
- أحكام القرآن، والقبس شرح الموطاء لأبي بكر بن العربي (المتوفي ٥٤٣)
- معاني القرآن للأخفش (المتوفي ٢١١)
- معاني القرآن لأبي زكري يحيى بن زياد بن عبد الله بن لظور الديلمي الفراء (المتوفي ٢٠٧)
- معاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج (المتوفي ٣١١)
- مجاز القرآن لأبي عبيدة (المتوفي ٢١٠)
- أحكام القرآن للهراسي (المتوفي ٥٠٤)
- المفهم لأبي العباس القرطبي (المتوفي ٦٥٦)
- المدوونة لأقوال المالك (المتوفي ١٧٩) رواية سحنون (المتوفي ٢٤٠)، لعبد الرحل بن قاسم (المتوفي ١٩١)

- المعونة للقاضي عبد الوهاب البغدادي (المتوفي ٤٢٢)
- البرهان للجويني (المتوفي ٤٧٨)
- كتب الحديث: كتب التسعة (صحيح البخاري، مسلم، سنن أبي دود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه، الموطاء، مالك، سنن الدارمي، مسند أحمد بن حنبل، مصنف أبي بكر بن شيبة (المتوفي ٢٣٠)، مسند البزار (المتوفي ٢٩٢)، صحيح ابن حبان (المتوفي ٣٥٤)، سنن الدار القطني (المتوفي ٣٨٥)، سنن البيهقي (المتوفي ٤٨٥)، الأحكام الصغرى ل أبو محمد عبد الحق الإصبلي (المتوفي ٥٨٢)
- السيار والمغازي لابن إسحاق (المتوفي ١٥١) والمغازي ل الواقدي (المتوفي ٢٠٧)
- الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري (المتوفي ٤٦٥)
- نواذر الأصول للبيهقي (المتوفي ٤٥٨)
- أرائس المجالس لأبي إسحاق الثعلبي (المتوفي ٤٢٧)
- الأسماء والصفات للبيهقي (المتوفي ٤٠٣)
- اللهج في الشعاب الإمام للحالمي (المتوفي ٤٠٣)
- الإرشاد للجويني (المتوفي ٤٧٨)
- الإشتقاق أسماء الله الحسنی للزجاج (المتوفي ٣٤٠)

٦. تفسير القرطبي على السورة التوبة الآية ١٢٢ في تفسير الجامع لأحكام القرآن<sup>٢٢</sup>

<sup>٢٢</sup> أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جزء ١٠.....،

شرح القرطبي أن في هذه الآية ست مسائل :

الأولى: توضيح السياق التاريخي والبيئي للآية

في المسئلة الأولى، شرح القرطبي السياق التاريخي والبيئي للآية، قال القرطبي:

قوله تعالى (وما كان المؤمنون) وهي أن الجهاد ليس على الأعيان وأنه فرض كفاية كما تقدم<sup>٢٣</sup> إذ لو نفر الكل لضاع من وراءهم من العيال، فليخرج فريق منهم للجهاد، وليقم فريق يتفقهون في الدين ويحفظون الحريم، حتى إذا عاد النافرون أعلمهم المقيمون ما تعلموه من أحكام الشرع، وما تجدد نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم. وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى: (إلا تنفروا) وللآية التي قبلها؛ على قول مجاهد وابن زيد.<sup>٢٤</sup>

من شرح القرطبي يمكن أن نفهم أنه ليس من الواجب على جميع المؤمنين المشاركة في الجهاد بشكل مباشر. الجهاد هو واجب جماعي (فرض كفاية)، وهذا يعني أنه إذا قام جزء من أمة المسلمين بأدائه، فإن الواجب يعتبر قد تم الوفاء به. إذا ذهب الجميع للجهاد، سترك عائلاتهم وستكون في حالة ترك. لذلك، يذهب بعضهم للجهاد، في حين يبقى البعض الآخر في بلادهم لتعميق فهم الدين ورعاية حياة الأسرة. عندما يعود الأشخاص الذين ذهبوا للجهاد، يمكن للذين بقوا أن يقدموا المعرفة والأحكام الدينية التي تعلموها. وهذه الآية هي ناسخة (تلغي) للآية السابقة التي تقول "إن لم تنفروا" وآيات سابقة أخرى، كما ذكر مجاهد وابن زيد.

<sup>٢٣</sup> ٤١٢/٣ و ص ٢٠١ من هذا الجزء.

<sup>٢٤</sup> سلف الخبران في المسئلة الخامسة من الآية السابقة، وينظر الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص ٣٠٥-٣٠٦، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٤٢٩/٢.

يقيم الإمام القرطبي أن رأي مجاهد وابن زيد ذو صلة بالآية المناقشة. في هذا السياق، تتعلق آراؤهم بتفسير الآية وصلة العلاقة والتعزيز المتبادل. يشير رأي مجاهد وابن زيد إلى فهم أن الآية المذكورة تكون ناسخة (تُلغى) للآيات السابقة التي فرضت الجهاد على الجميع. يرى أن الآية تسمح بوجود مجموعة من الأشخاص الذين يخرجون للجهاد، في حين يستمر البعض الآخر في أداء الواجبات الدينية والاهتمام بالحياة اليومية.

#### الثانية : التفسير الحرفي والمعنى الحرفي

في المسئلة الثانية، يقدم القرطبي شرحًا لمعاني الآيات بشكل حرفي. قال القرطبي:

هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم ؛ لأن المعنى : وما كان المؤمنون لينفروا كافة والنبي صلى الله عليه وسلم مقيم لا ينفر فيتركوه وحده. ( فلولا نفر ) بعدما علموا أن النفر لا يسع جميعهم. ( من كل فرقة منهم طائفة ) وتبقى بقيتها مع النبي صلى الله عليه وسلم ليتحملوا عنه الدين ويتفقهوا ؛ فإذا رجع النافرون إليهم أخبروهم بما سمعوا وعلموه. وفي هذا إيجاب التفقه في الكتاب والسنة، وأنه على الكفاية دون الأعيان . ويدل عليه أيضا قوله تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) {النحل: ٤٣} . فدخل في هذا من لا يعلم الكتاب والسنن<sup>٢٥</sup>.

بشكل عام، في الإسلام، يُشجع جميع المسلمين على تعميق دراستهم في علوم الدين وزيادة فهمهم لتعاليم الإسلام. تصبح التعليم الديني واجبًا على كل فرد مسلم في السعي لاكتساب المعرفة الصحيحة وفهم توجيهات الدين بشكل جيد. ومع ذلك، في سياق المسؤولية القائمة على

<sup>٢٥</sup>المنهج في شعب الإيمان للحليمي ١٩٠/٢-١٩١.

إرشاد الأمة، يمكن أن يكون هذا الواجب مشتركاً (فرض كفاية). وهذا يعني أنه إذا كان هناك أشخاص قد استوفوا المعرفة الدينية وقادرون على تقديم الإرشاد للأمة، فإن هذا الواجب يصبح غير ملزم على الآخرين. تتوجه هذه المسؤولية بشكل أكبر إلى أولئك الذين لديهم الخبرة والكفاءة في مجال علوم الدين. وبالتالي، يتوجب على الجميع تعميق دراستهم في علوم الدين، ولكن الذين يملكون المعرفة والكفاءة الكافية هم المسؤولون بشكل خاص عن إرشاد الأمة وتقديم تفسير صحيح لتعاليم الدين.

#### الثالثة: المعنى والرسالة العميقة

في المسئلة الثالثة، يقوم القرطبي بتفسير المعنى الرمزي والعميق للآيات. قال القرطبي: قوله تعالى (فلولا نفر) قال الأخفش: أي فهلا نفر<sup>٢٦</sup>. (من كل فرقة منهم طائفة) الطائفة في اللغة: الجماعة، وقد تقع على أقل من ذلك حتى تبلغ الرجلين، والواحد على معنى نفس: طائفة. وقد تقدم<sup>٢٧</sup> أن المراد بقوله تعالى: إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة، وإن كان رجل واحداً. ولا شك أن المراد هنا جماعة لوجهين: أحدهما عقلاً، والآخر لغة. أما العقل فلأن العلم لا يتحصل بواحد في الغالب. وأما اللغة فقوله: "ليتفقها في الدين وليندروا قومهم" فجاء بضمير الجماعة. قال ابن العربي<sup>٢٨</sup>: والقاضي أبو بكر، والشيخ أبو الحسن قبله يرون أن الطائفة هاهنا

<sup>٢٦</sup> إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٤٠.

<sup>٢٧</sup> ص ٢٩٢ من هذا الجزء.

<sup>٢٨</sup> في أحكام القرآن ٢/١٠١٩، وما قبله منه.

واحد، ويقضون به<sup>٢٩</sup> على وجوب العمل بخبر الواحد، وهو صحيح لا من جهة أن الطائفة تنطلق على الواحد، ولكن من جهة أن خبر الشخص الواحد أو الأشخاص خبر واحد، وأن مقابله وهو التواتر لا ينحصر.

قلت: أنص ما يستدل به على أن الواحد يقال له طائفة قوله تعالى: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا" (الحجرات: ٨) يعني نفسين. دليله قوله تعالى: "فأصلحوا بين أخويكم" (الحجرات: ١٠) فجاء بلفظ التثنية، والضمير في (اقتتلوا) وإن كان ضمير جماعة، فأقل الجماعة اثنان في أحد القولين للعلماء.

من شرح القرطبي يمكن أن نعرف أن معنى كلمة طائفة" يمكن أن يتفاوت وفقاً لسياق الآية في القرآن الكريم. كما هو مبين من الأمثلة المذكورة من الآيات التي ذكرها القرطبي أعلاه، هناك بعضها يشير إلى مجموعة كبيرة، بينما في آيات أخرى يشير إلى مجموعة صغيرة أو حتى فرد واحد. لذلك، من الأهمية بمكان فهم السياق الكامل للآية وأخذ تفسير العلماء وأهل التفسير بعين الاعتبار لفهم المعنى الصحيح لكلمة "طائفة" في كل آية من آيات القرآن الكريم.

فيما يتعلق بسورة التوبة ، الآية ١٢٢ ، يُفهم "طائفة" على أنها تشير إلى مجموعة كبيرة من الأشخاص، وذلك بناءً على النظرة اللغوية والمنطقية. من الناحية اللغوية، يمكن أن يتم فهمها بأنها تشير إلى شخص واحد إذا تم فهمها على أنها تسمح بقبول خبر واحد، لأنه على الرغم من أنه يتم نقل المعلومة من شخص واحد، إلا أن المعلومة نفسها قد تم نقلها أيضًا بواسطة أشخاص

<sup>٢٩</sup> في (م): ويعتضون فيه بالدليل، بدل: ويقضون به.

آخرين. من الناحية المنطقية، استيعاب المعرفة من مجموعة صغيرة يجعل من الصعب تلبية متطلبات البحث عن المعرفة والتعلم منهم. ولذلك، التفسير الأكثر دقة هو أن "طائفة" تشير إلى مجموعة أكبر، مما يتيح فرصة أوسع للوصول إلى المعرفة والتعلم.

#### الرابعة : المنظور السياقي

في المسئلة الرابعة، يقوم الإمام القرطبي بتفسير الآية من خلال ربطها بالسياق الاجتماعي والثقافي. قال القرطبي:

أن قوله تعالى ( ليتفقها ) الضمير في " ليتفقها، وليندروا " للمقيمين مع النبي صلى الله عليه وسلم، قاله قتادة ومجاهد.<sup>٣٠</sup> وقال الحسن: هما للفرقة النافرة، واختاره الطبري.<sup>٣١</sup> ومعنى "ليتفقها في الدين" أي يتبصروا ويتيقنوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين. (وليندروا قومهم) من الكفار، (إذا رجعوا إليهم) من الجهاد، فيخبرونهم بنصرة الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وأنهم لا يدان<sup>٣٢</sup> لهم بقتالهم وقتال النبي صلى الله عليه وسلم، فينزل بهم ما نزل بأصحابهم من الكفار. قلت: قول مجاهد وقاتدة أبين، أي لتتفق الطائفة المتأخرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النفور في السرايا. وهذا يقتضي الحث على طلب العلم، والندب إليه

<sup>٣٠</sup>أخرج قولهما الطبري ٧٦/١٢ و ٧٨، وقول مجاهد في تفسيره ١/ ٢٨٨-٢٨٩.

<sup>٣١</sup>في تفسيره ٨٤/١٢، وأخرج خبر الحسن ٨٢/١٢، وأخرجه أيضا عبد الرزاق ٢/٢٩، وذكره البغوي ٢/٣٣٩ وما

سيرد منه، وهو تنمة قول الحسن.

<sup>٣٢</sup>يقال: مالك به يدان، أي طائفة. تهذيب الألفاظ لابن السكيت ١/٤٩٣، وينظر أساس البلاغة (يدي).

دون الوجوب والإلزام، إذ ليس ذلك في قوة الكلام، وإنما لزم طلب العلم بأدلتها، قاله أبو بكر بن العربي<sup>٣٣</sup>.

من تفسير القرطبي، توجد بعض التوضيحات حول تفسير آيات القرآن وآراء بعض العلماء فيما يتعلق بمعنى وسياق تلك الآيات. ومع ذلك، من بين آراء العلماء المختلفة، يتفق القرطبي مع رأي مجاهد وقتادة في أن المجموعة التي يجب عليها أن تفهم الدين هي الأشخاص الذين عاشوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكما ذكر أبو بكر ابن العربي، فإن السعي للتعلم وتشجيع الآخرين على ذلك يظل أمرًا مهمًا، على الرغم من عدم وجود وجوب قاطع أو إكراه في ذلك. وذلك بسبب أهمية السعي للعلم ودعومه بدلائل واضحة. وبالتالي، توفر هذه الآية توضيحًا لتفسير آيات القرآن وآراء بعض العلماء بشأن معنى وسياق تلك الآيات، فضلاً عن أهمية السعي للعلم وفهم تعاليم الدين بشكل عميق.

#### الخامسة : الحكم والفقہ

في المسئلة الخامسة، يوضح القرطبي النتائج القانونية والفقهيّة للآية ١٢٢ من سورة التوبة. قال القرطبي:

إن حكم طلب العلم ينقسم إلى قسمين: فرض على الأعيان، كالصلاة والزكاة والصيام<sup>٣٤</sup>. قلت: وفي هذا المعنى جاء الحديث المروي إن طلب العلم فريضة. روى عبد القدوس بن حبيب:

<sup>٣٣</sup> في أحكام القرآن ٢/١٠١٩.

<sup>٣٤</sup> تفسير البغوي ٢/٣٣٩-٣٤٠.

أبو سعيد الوحاظي، عن حماد بن أبي سليمان، عن إبراهيم النخعي، قال سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: طلب العلم فريضة على كل مسلم. قال إبراهيم: لم أسمع من أنس بن مالك إلا هذا الحديث<sup>٣٥</sup>.

وفرض على الكفاية، كتحصيل الحقوق وإقامة الحدود والفصل بين الخصوم ونحوه، إذ لا يصلح أن يتعلمه جميع الناس، فتضيع أحوالهم وأحوال سواهم<sup>٣٦</sup>، وتنقص أو تبطل معاشهم، فتعين بين الحالين أن يقوم به البعض من غير تعيين، وذلك بحسب ما يسره الله لعباده وقسمه بينهم من رحمته وحكمته بسابق قدرته وكلمته<sup>٣٧</sup>.

من تفسير القرطبي، يُوضَّح أن السعي للعلم له جانبين، أولاً واجب فردي يجب على كل مسلم أدائه، وثانياً واجب جماعي يؤدي بواسطة بعض الأشخاص للحفاظ على النظام والعدل في المجتمع.

#### السادسة : الارتباط والتطبيق

<sup>٣٥</sup> أخرجه تمام في فوائد (الروض البسام) ١٣٢-١٣٣ (٧٣)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢٥) و (٢٦)، والبيهقي في الشعب (١٦٦٦) من طريق عبد القدوس بن حبيب، به. وعبد القدوس هذا كذبه ابن المبارك، وضعفه النسائي، وقال الفلاس: أجمعوا على ترك حديثه. ميزان الاعتدال ٦٣٤/٢. وقد روي من طرق أخرى كثيرة كلها ضعيفة، لكن قال السنخاري في المقاصد الحسنة ص ٢٧٢: قال العراقي: قد صحح بعض الأئمة بعض طرقه كما بينته في تخريج الإحياء. ثم قال: قال الميزي: إن طرقه تبلغ به رتبة الحسن. وقد صححه السيوطي في الجامع الصغير ٩٨/٢، ونقل عنه المناوي في فيض القدير ٦٧/٤ قوله: جمعت له خمسين طريقاً، وحكمت بصحته لغيره.

<sup>٣٦</sup> في (م): سراياهم، والمثبت من النسخ الجطية، وهو الموافق لما في أحكام القرآن لابن العربي ١٠١٩/٢، والكلام

منه.

<sup>٣٧</sup> أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جزء ١٠.....

في المسئلة الأخرى، يقوم القرطبي بتحليل معنى الآيات في الحياة والممارسات الدينية المعاصرة. قال القرطبي:

طلب العلم فضيلة عظيمة، ومرتبة شريفة لا يوازيها عمل، روى الترمذي<sup>٣٨</sup> من حديث أبي الدرداء، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر.<sup>٣٩</sup>

وروى الدارمي أبو محمد ((في مسنده)) قال: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، عن الحسن قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجلين كانا في بني إسرائيل، أحدهما كان عالما يصلي المكتوبة، ثم يجلس فيعلم الناس الخير. والآخر يصوم النهار ويقوم الليل، أيهما أفضل؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فضل هذا العالم الذي يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير، على العابد الذي يصوم النهار ويقوم الليل، كفضلي على أدناكم.<sup>٤٠</sup>

<sup>٣٨</sup> برقم (٢٦٧٢) وأخرجه أحمد (٢١٧١٥).

<sup>٣٩</sup> أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جزء ١٠، .....، ١٨٧.

<sup>٤٠</sup> سنن الدارمي (٣٤٠) وإسناده منقطع في موضعين، فالأوزاعي لا تعرف له رواية عن الحسن، والحسن روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل.

وأخرجه بنحوه الترمذي (٢٦٧٥)، والطبراني في الكبير (٧٩١١) من طريق الوليد بن جميل من القاسم أبي عبد الرحمن، عن أبي أمامة مرفوعا. قال أبو حاتم: الوليد بن جميل روى عن القاسم أبي عبد الرحمن أحاديث منكورة. ميزان الاعتدال ٣٣٧/٤.

أسنده أبو عمر في كتاب "بيان العلم" عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي<sup>٤١</sup>.

وقال ابن عباس : أفضل الجهاد من بنى مسجدا يعلم فيه القرآن والفقه والسنة. رواه شريك، عن ليث بن أبي سليم، عن يحيى بن أبي كثير، عن علي الأزدي قال : أردت الجهاد فقال لي ابن عباس : ألا أدلك على ما هو خير لك من الجهاد؟ تأتي مسجدا فتقرأ فيه القرآن، وتعلم فيه الفقه<sup>٤٢</sup>.

وقال الربيع سمعت الشافعي يقول: طلب العلم أوجب من الصلاة النافلة<sup>٤٣</sup>. وقوله عليه السلام : إن الملائكة لتضع أجنحتها . . . الحديث يحتمل وجهين:

أحدهما: أنها تعطف عليه وترحم، كما قال الله تعالى فيما وصى به الأولاد من الإحسان إلى الوالدين بقوله "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة" (الإسراء: ٢٤) أي تواضع لهما.

والوجه الآخر: أن يكون المراد بوضع الأجنحة فرشها، لأن في بعض الروايات: "وإن الملائكة تفرش أجنحتها" أي: إن الملائكة إذا رأت طالب العلم يطلبه من وجهه ابتغاء مرضات الله، وكانت سائر أحواله مشاكلة لطلب العلم، فرشت له أجنحتها في رحلته وحملته عليها، فمن هناك يسلم، فلا يخفى إن كان ماشيا ولا يعيا<sup>٤٤</sup>، وتقرب عليه الطريق البعيدة، ولا يصيبه ما يصيب

<sup>٤١</sup> برقم (٩٢) وفي إسناده محمد بن الفضل بن عطية، قال الحافظ في التقریب: كذبوه. اه وزيد بن الحواري العمي البصري، قال في التقریب: ضعيف.

<sup>٤٢</sup> أخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ٤٠٠/٣ ومن طريقة ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٦٠) من طريق شريك، بالإسناد الذي ذكره المصنف. شريك هو ابن عبد الله النخعي، وهو سين الحفظ، وليث هو ابن أبي سليم ضعيف.

<sup>٤٣</sup> مسند الشافعي ١٨/١ بلفظ: أفضل، بدل: أوجب.

<sup>٤٤</sup> في (خ) و (د): يعني.

المسافر من أنواع الضرر، كالمرض، وذهاب المال، وضلال الطريق.<sup>٤٥</sup> وقد مضى شيء من هذا

المعنى في ( آل عمران ) عند قوله تعالى : شهد الله الآية.<sup>٤٦</sup>

روى عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي

ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة. قال يزيد بن هارون : إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا

أدري من هم؟.<sup>٤٧</sup>

قلت: وهذا قول عبد الرزاق في تأويل الآية: إنهم أصحاب الحديث، ذكره الثعلبي.

وسمعت شيخنا الأستاذ المقرئ النحوي المحدث أبا جعفر أحمد بن محمد بن محمد

القيسي القرطبي المعروف بابن أبي حجة<sup>٤٨</sup> رحمه الله يقول في تأويل قوله عليه السلام: لا يزال

أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة<sup>٤٩</sup> إنهم العلماء، قال: وذلك أن الغرب لفظ مشترك

يطلق على الدلو الكبيرة، وعلى مغرب الشمس، ويطلق على فيضة من الدمع. فمعنى ((لا يزال أهل

الغرب)) أي لا يزال أهل فيض الدمع من خشية الله عن علم به وبأحكامه ظاهرين، الحديث. قال

الله تعالى : إنما يخشى الله من عباده العلماء.

<sup>٤٥</sup> المنهاج في شعب الإيمان ١٩٣/٢.

<sup>٤٦</sup> ٦٤-٦٣/٥.

<sup>٤٧</sup> أخرجه تبامه الراهرمزي في المحدث الفاصل (٢٨)، والخطيب في شرف أصحاب الحديث (٤٢)، وأخرجه -  
دون الكلام يزيد - أحمد (١٩٨٥١)، وأبو داود (٢٤٨٤). وأخرجه أيضا أحمد (١٨١٣٥)، والبخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٩٢١)  
من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وقد رواه أيضا عدد من الصحابة، ينظر التعليق على مسند أحمد عند الحديث (٨٢٧٤).

<sup>٤٨</sup> أقرأ القرآن والنحو، وأسمع الحديث بقرطبة، ثم خرج إلى إشبيلية وولي القضاء والخطابة بها، وألف: تسديد اللسان  
في النحو، والجمع بين الصحيحين، وغير ذلك، توفي سنة (٦٤٣). بغية الوعاة ٣٨٣/١.

<sup>٤٩</sup> أخرجه مسلم (١٩٢٥).

قلت: وهذا التأويل يعضده قوله عليه السلام في ((صحيح)) مسلم: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة" ° وظاهر هذا المساق أن أوله مرتبط بآخره. والله أعلم.

في المسئلة السادسة، يقدم القرطبي العديد من المفاهيم حول فضل طلب العلم، حيث يركز على أهمية سعي الإنسان للعلم وفوائده في حياة الفرد والمجتمع. يسلط القرطبي الضوء على أن طلب العلم هو واجب على كل مسلم، حيث يلعب العلم دورًا هامًا في فهم الدين، وتعزيز الإيمان، وتوجيه الحياة وفقًا لتعاليم الإسلام.

في البحث السادس حول فضل طلب العلم في تفسير القرطبي، يركز القرطبي على أهمية السعي للعلم وفوائده في حياة الفرد والمجتمع. يسلط القرطبي الضوء على أن طلب العلم هو واجب على كل مسلم، لأن العلم يلعب دورًا مهمًا في فهم الدين وتعزيز الإيمان وتوجيه الحياة وفقًا لتعاليم الإسلام.

يوضح القرطبي أن طلب العلم يقدم العديد من الفوائد، بما في ذلك:

أ. الاقتراب من الله: يعتبر طلب العلم شكلاً من أشكال العبادة التي تقرب الفرد من الله وتزيد من محبته وطاعته له.

---

°صحيح مسلم (١٠٣٧): (١٧٥) كتاب الإجازة، وهو عند أحمد (١٦٨٤٩)، والبخاري (٨١) وهو من حديث معاوية رضي الله عنه. وقوله صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" سلف ٣٥٧/٤.

ب. زيادة فهم الدين: يمكن للفرد أن يفهم تعاليم الدين بشكل أفضل من خلال العلم،

مما يتيح له تطبيقها بشكل صحيح وتجنب سوء الفهم في الدين.

ج. بناء مجتمع طيب: من خلال امتلاك المعرفة الصحيحة، يمكن للفرد أن يساهم في

بناء مجتمع عادل، يتسم بالأخلاق الحسنة، والسلوك الإسلامي.

د. إفادة النفس والآخرين: العلم الذي يتم اكتسابه ليس فقط مفيداً للفرد نفسه، بل يمكن

استخدامه أيضاً لصالح الآخرين والمجتمع بشكل عام.

يؤكد القرطبي على أن طلب العلم يجب أن يتم بنية صادقة للبحث عن رضا الله وتطبيق

العلم بشكل صحيح. في رؤية القرطبي، يعتبر طلب العلم جهداً مستمراً طوال الحياة، يتضمن الدراسة

والتأمل والتطبيق.

ب. ترجمة ابن عاشور وكتاب تفسيره

١. ترجمة ابن عاشور

هو محمد الطاهر بن الشيخ محمد بن الشيخ محمد الطاهر بن الشيخ محمد بن الشيخ

محمد الشاذلي بن العالم الصالح عبد القادر بن العالم الزاهد الولي الصالح السيخ محمد (بفتح

الميم) ابن عاشور. كان عالماً عاملاً صالحاً ناكساً مقبلاً على شأنه لا يقيم وزناً لهذه الدنيا الفانية،

وكان لا يعيش إلا من كد يده، رافضاً كل ما يقدم إليه من جزيل العطايا من طرف الملوك وأهل البلاط والناس كافة.<sup>٥١</sup>

ولد ابن عاشور في ضاحية (المَرْسِي) الجميلة قرب العاصمة التونسية في شهر جمادى الأولى عام ١٢٩٦ هـ الموافق سبتمبر ١٨٧٩ م ، وسمي والده محمد بن عاشور ، وسميت والدته فاطمة هي ابنة رئيس الوزراء محمد العزيز.<sup>٥٢</sup> ولد في بيت جده لأمه محمد العزيز. أما الجد الذي أتى من أبيه وهو محمد طاهر بن محمد بن محمد الشاذلي فهو من العلماء.<sup>٥٣</sup>

وكان المفسر لغويا، نحويا، أدبيا، من دعاة الاصلاح الاجتماعي والديني، وله أبحاث ودراسات ومقالات كثيرة نشرت في كبريات المجلات بتونس ومصر. كانت وفاته بتونس سنة ١٣٩٣ هـ.<sup>٥٤</sup>

## ٢. نشأت العلمية وشيوخ ابن عاشور

نشأ ابن عاشور في رحاب العلم والجاه، فسلك أول ما سلك تعلم القرآن الكريم، في سن السادسة، فقرأه وحفظه على المقرئ الشيخ محمد الخيار بمسجد سيدي أبي حديد المجاور لبيتهم بنهج الباش بمدينة تونس. ثم حفظ مجموعة من المتون العلمية، كمتن الأجرومية في النحو وابن عاشر في الفقه المالكي، وغيرها. وتلاقي الشيخ المبادي الأولى في قوعد العرابية على شيخ أحمد

<sup>٥١</sup> إياد بن خالد الطباعي، محمد طاهر بن عاشور، مجلد ١، (دمشق: دار القاع، ٢٠٠٥)، ٢٢.

<sup>٥٢</sup> Nani Haryati, "Analisis Pendekatan Teks dan Konteks Penafsiran Poligami Ibnu Asyur dalam Kitab Al Tahrir wa Al-Tanwir", *Jurnal Pendidikan Bahasa dan Sastra Arab*, Vol. 3, No.1, 2017, 77.

<sup>٥٣</sup> Mani' Abdul Halim, *Kajian Tafsir Komprehensif Metode Ahli Tafsir*, trans. Faiza Saleh Syahdianur, (Jakarta: PT. Karya Grafindo, 2006), 33.

<sup>٥٤</sup> محمد علي إيازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، مجلد ١، (تهرن: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٣٣٣)، ٢٥٩.

بن بدر الكافي إعتقادا على شرح خالد الأزهري على الأجرومية.<sup>٥٥</sup> وكلها كانت تحضيرات لمواصلة دراسته في الجامعة: جامعة الزيتونية.<sup>٥٦</sup>

واصل ابن عاشور تعليمه في جامعة الزيتونية عام ١٣١٠ هـ ، ١٨٩٣ م. جامعة الزيتونية هي مسجد وهو مركز النشاط الديني التابع للمذهب المالكي ولا يلتزم إلا البعض بالمذهب الحنفي ، هذا المسجد مؤسسة تعليمية على قدم المساواة مع الأزهر، ويعمل كمركز للتعليم والإعلام ونشر المعرفة.<sup>٥٧</sup> يُسجل أنه درس كتبًا مختلفة في الجامعة، من بين أمور أخرى:<sup>٥٨</sup>

- النحو: فقرأ سيدي خالد والقطر والمقدمة والمكودي ولامية الأفعال والأشموني والمغني بشرح الدمانيني
- البلاغة: قرأ الدمنهوري على السمرقندية والتخليص بشرح المطول للسعد والمفتاح للسكاكيني بشرح السيد
- اللغة: درس المزهري للسيوطي والحماسة بشرح المرزوقي والمثل السائر لابن الأثير
- المنطق: قرأ السلم والتهذيب
- علم الكلام: قرأ الوسطى والعقائد النسفية. والعقائد العضدية بشرح سعيد الدين التفتازاني والمواقف لعضد الدين الايجي بشرح السيد

<sup>٥٥</sup> إياد بن خالد الطباعي، محمد طاهر بن عاشور، مجلد ١، ..... ٢٦ - ٢٥.

<sup>٥٦</sup> Iftakhor Rokhmah, "Teori Belajar dalam Al-Qur'an Surah Az-Zalzalayah Ayat 7-8, *Skripsi*, (Yogyakarta: Fakultas Agama Islam, Program Studi Pendidikan Agama Islam, Universitas Muhammadiyah Yogyakarta, 2018), 40-41.

<sup>٥٧</sup> Mani' Abdul Halim, *Kajian Tafsir Komprehensif Metode Ahli Tafsir*, trans. Faisa Saleh Syahdianur, 313.

<sup>٥٨</sup> بلقاسم الغالي، شيخ الجامع الأعظم محمد طاهر بن عاشور، (بيروت: در ابن الحزم، ١٩٩٦)، ٣٨.

- الفقه: قرأ الدردير وميارة على المرشد والكفاية على الرسالة والتاودي علي التحفة
  - الفرائض: درس كتاب الدرّة
  - أصول الفقه: قرأ الحطاب على الورقات والتنقيح للقرا في والمحلي للسبكي
  - الحديث: درس صحيح البخاري ومسلم وكتب السنن وشرح غرامي صحيح
- بعد أن أكمل تعليمه في الزيتونية ، خدم وحصل على منصب في مجال الدين . وهو عضو في الجهاد مع الشيخ محمد الخضر حسين هو مشيخ الأزهر، إمام الكبير الأزهر. حقق خلال حياته العديد من الإنجازات المجيدة ، وشغل العديد من المناصب الهامة ، سواء في مجال الدين الإسلامي والإداري، وبعضها منها:<sup>59</sup>

- ١ . شيخ في الجامعة الزيتونة ومدرسة صديقية، بدأ من عام ١٩٠٠ إلى ١٩٣٢ م
  - ٢ . عضو مجلس إدارة الجمعية الخلدنية عام ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م
  - ٣ . عضو لجنة المخالفة الذي نظف أو دبر الكتب و المخطوطات في مكتبة الصديقية عام ١٩٠٥
  - ٤ . منوبة الدولة في البحث العلي عام ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧ م
  - ٥ . عضو لجنة مراجعة برنامج التربية عام ١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٨ م
- ٣ . مؤلفات ابن عاشور

---

<sup>59</sup> Muhammad Chamdan, “Penafsiran Ibnu Asyur Terhadap Ayat-Ayat Penciptaan Manusia (Studi Analisis Kitab Tahrir wa At Tanwir)”, *Skripsi*, (Semarang: Fakultas Ushuluddin, Institut Agama Islam Negeri Walisongo, 2013), 33.

ويمكن تصنيفها كالتالي:<sup>٦٠</sup>

أ. العلوم الإسلامية:

١. التحرير والتنوير
٢. مقاصد الشريعة الإسلامية
٣. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام
٤. اليس الصبح بقريب
٥. الوقف وآثاره في الإسلام
٦. كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ
٧. قصة المولد
٨. حواشي على التنقيح لشهاب الدين القرآن في أصول الفقه
٩. رد على كتاب الإسلام وأصول الحكم تأليف على عبد الرزاق
١٠. فتاوى ورسائل فقهية
١١. التوضيح والتصحيح في أصول الفقه
١٢. النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح
١٣. تعليق وتحقيق على شرح حديث أم زرع
١٤. قضايا شرعية وأحكام فقهية وأراء اجتهادية ومسائل علمية
١٥. أمال عاى مختصر خليل

---

<sup>٦٠</sup> بلقاسم الغالي، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، .....، ٦٨.

- ١٦ . تعاليق على المطول وحاشية السيالكوتي
- ١٧ . آمال على دلائل الاعجاز
- ١٨ . أصول التقديم في الإسلام
- ١٩ . مراجعات تتعلق بكتابي معجز أحمد واللامع للعزيري
- ب. مؤلفات في اللغة العربية وآدابها
- ١ . أصول الإنشاء والخطابة
- ٢ . موجز البلاغة
- ٣ . شرح قصيدة الأعش في مدح المحلق
- ٤ . شرح ديوان بشار
- ٥ . الواضح في مشكلات المتنبي لابن جني
- ٦ . سرقات المتنبي
- ٧ . شرح المقدمة الأدبية للمرزوقي على ديوان الحماسة
- ٨ . تحقيق فوائد العقيان للفتح بن خاقان مع شرح ابن زاكور
- ٩ . ديوان النابغة الذبياني (جمع وشرح وتعليق)
- ١٠ . تحقيق مقدمة في النحو لخلف الأحمر
- ١١ . تراجم لبعض الأعلام
- ١٢ . تحقيق كتاب الاقتضاب للبطلوسي مع شرح كتاب أدب الكاتب

- ١٣ . جمع وشرح ديوان سحيم
- ١٤ . شرح معلقة امرىء القيس
- ١٥ . تحقيق لشرح القرش على ديوان المتنبي
- ١٦ . غرائب الاستعمال
- ١٧ . تصحيح وتعليق على كتاب الانتصار لجالينوس للحكيم ابن زهر
- ١٨ . شرح ديوان ابن الحسحاس
- ١٩ . وله مؤلفات في التراجم والتاريخ
- ٤ . صفات التفسير التحرير والتنوير

فسر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور القرآن الكريم تفسيراً تاماً من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، وعنوانه: التحرير والتنوير من التفسير، وهو عنوان مختصر من عنوانه الطويل: تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من التفسير الكتاب المجيد، وزيادة في الإختصار كان العنوان الذي صدر به كتاب الشيخ هو "تفسير التحرير والتنوير"<sup>٦١</sup>. كتب ابن عاشور هذا التفسير عندما كانت الظروف الاجتماعية والسياسية في تونس تشهد ديناميات متنوعة. يحاول المجتمع التونسي الحصول على استقلاله من الغزاة. بالإضافة إلى ذلك، أثر ظهور حركة التجديد والإصلاح التي يقودها محمد عبده في مصر أيضاً على مفكري تونس، بمن فيهم ابن عاشور نفسه.<sup>٦٢</sup>

<sup>٦١</sup> بلقاسم الغالي، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، .....، ٦٨-٧١.

<sup>٦٢</sup> Nani Haryati, "Analisis Pendekatan Teks dan Konteks", ..... 74.

قال ابن عاشور في مقدمه: فقد كان أكبر أمنيته منذ بعيد، تفسير الكتاب المجيد، الجامع لمصالح الدنيا والدين، وموثق شديد العرى من الحق المتين، والحاوي لكليات العلوم ومعاهد استنباطها، ولأخذ قوس البلاغة عن محل نياطها، طمعا في بيان نكت من العلم وكليات من التشريع، وتفصيل من مكارم الأخلاق، كان يلوح النموذج من جميعها في خلال تدبره، أو مطالعة كلام مفسره، ولكنني كنت على كاف بذلك انجهم التفحم على هذا المجال، وأحجم عن الزج بسية قوس في هذا النضال. اتقاء ما عسى أن يعرض له المرء نفسه من متاعب تنوء بالقوة، أو فلتات سهام الفهم وإن بلغ ساعد الذهن كمال الفتوة.<sup>٦٣</sup>

يبدأ كتاب شروح التحرير والتنوير بمقدمة كتبها ابن عاشور نفسه. شرح في مقدمته الدافع لتجميع تعليقاته. الجزء التالي هو المقدمة التي تحتوي على رؤى عامة حول أساسيات التفسير، وكيف يتفاعل المفسر مع مفردات القرآن ومعناه وبنيته ونظامه. في مقدمته ١٠ مناقشات، منها:<sup>٦٤</sup>

المقدمة الأولى: في التأسير والتأويل

المقدمة الثانية: في استمداد علم التفسير

المقدمة الثالثة: في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي

المقدمة الرابعة: غرض المفسر

المقدمة الخامسة: أسباب النزول

<sup>٦٣</sup> محمد طاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الجزء الأول، (تونس: الدر التونسية للنشر، ١٩٨٤)، ٦.

<sup>٦٤</sup> بلقاسم الغالي، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر، .....، ٧٦.

المقدمة السادسة: قي القرائات

المقدمة السابعة: القصص القرآني

المقدمة الثامنة: ما يتعلق باسم القرآن وآياته

المقدمة التاسعة: المعاني التي تحملها جمل القرآن

المقدمة العاشرة: في إعجاز القرآن

وبعد شرح ١٠ المقدمات، فسر ابن عاشور سورة الفاتحة. لما فسر لفظ البسملة في سورة

الفاتحة، شرح ابن عاشور عن معنى البسملة وأراء العلماء هل هو من القرآن ام لا.<sup>٦٥</sup>

٥. منهج ولون، ومصدر ومرجع في التفسير ابن عاشور

أ. منهج ولون التفسير

كان طريقته في شروع التفسير، أن يبدأ باسم السورة وفضلها وقراءتها، وترتيب نزولها، وتعيين سورة قبلها وبعدها، وبيان أغراض السورة، وعدد آياتها، ثم ذكر محتويات السورة، ثم يبدأ بتفسير الآية منتخبا جملة منها فيفسرها قطعة قطعة. إهتم المفسر في تفسيره ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العرابية، وأساليب الإستعمال، وبيان تناسب اتصال الآيات بعضها ببعض، وهو منحى جليل قد عنى به الفخر الرزي وبرهان الدين البقاعي في كتابه المسمى ب "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور".<sup>٦٦</sup>

<sup>65</sup> Nani Haryati, "Analisis Pendekatan Teks dan Konteks", .....87-88.

<sup>66</sup> محمد علي إيازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، .....٣٦٢.

وفي مجال الفقه أوضح ابن عاشور أن على العالم المتشبع بإطلاع على مقاصد الشريعة وتصاريفها أن يفرق بين مقامات خطبها فإن منها مقام موعظة وترغيب وترهيب وتبشير وتحذير، ومنها مقام تعليم وتحقيق فيرد كل وارد من نصوص الشريعة إلى موارد اللائق.<sup>٦٧</sup> ابن عاشور نفسه عند تفسير آيات الأحكام لم يفت تعليقاته الفقهية. وكتب التعليقات بمختصر، لائق بتقديم الفقهاء، وشرح الأصحاب والتابعين، ثم استنبط في آخر تعليقه.<sup>٦٨</sup>

والخلاصة: إن تفسيره تحليلي، أدبي، إجتماعي، إهتم بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت من ضبط كثير منه قواميس اللغة، جمع بين منهجي السلف والخلف، مبسط في تفسيره، وهو من التفاسير التي تبقى في الأجيال ويستفيد منه الباحثون.<sup>٦٩</sup>

ب. مصادر لتفسير ابن عاشور

وأما مصادره قد بينها في فاتحة تفسيره أي: الكشاف للزمخشري، والمحزر الوجيز لابن عطية، ومفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، وتفسير البيضاوي المخلص من (الكشاف) ومن (مفاتيح الغيب) بتحقيق بديع، و(تفسير الشهاب الآلوسي)، وما كتبه الطيبي والقزوني والقطب والتفتازني على (الكشاف)، وما كتبه الخفاجي على (تفسير البيضاوي)، و(تفسير أبي السعود)، و(تفسير القرطبي) والموجود من (تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي) من تقييد تلميذه الأبي، وهو بكونه تعليقا على

<sup>٦٧</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، جزء ١، ..... ٢٧٣.

<sup>٦٨</sup> Faizah Ali Syibromalisi, "Telaah Tafsir Al-Tahrir Wa Al Tanwir Karya Ibnu Asyur", *Jurnal: Al-Fanar: Jurnal Al-Qur'an dan Hadis*, Jakarta: UIN Syarif Hidayatulah, Vol.1, No.1, 2019, 9.

<sup>٦٩</sup> محمد علي إيازي، المفسرون ومنهجهم، مجلد ١، ..... ٣٦٧.

(تفسير ابن عطية) أشبه منه بالتفسير، لذلك لا يأتي على جميع آي القرآن وتفسير الأحكام، و(تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري)، وكتاب (درة التنزيل) المنسوب لفخر الدين الرازي، وربما ينسب للراغب الأصفهني، ولقصد الاختصار أعرض عن العزو إليها.<sup>٧٠</sup>

ت. تفسير ابن عاشور على سورة التوبة الآية ١٢٢ في التحرير والتنوير<sup>٧١</sup>

بناءً على تفسير ابن عاشور للآية ١٢٢ من سورة التوبة، يقوم الكاتب بتفكيكها إلى عدة مواضيع:

#### ١. مناسبة الآية

عند تفسيره لهذه الآية، بدأ ابن عاشور بربط سياق الآية مع الآيات السابقة واللاحقة. يهدف ذلك إلى تسهيل فهم الآية ١٢٢ في سياق سورة كاملة أو جزء أكبر. قال ابن عاشور:

كان غالب ما تقدم من هذه السورة تحريضاً على الجهاد وتنديداً على المقصرين في شأنه، وانتهى الكلام قبل هذا بتبرئة أهل المدينة والذين حولهم من التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا جرم كانت قوة الكلام مؤذنة بوجوب تمحض المسلمين بعلم الدين وتثقيف أذهان المسلمين كي تصلح سياسة الأمة على ما قصده الدين منها، من أجل ذلك عُقب التحريض على الجهاد بما يبين أن ليس من المصلحة تمحض المسلمين كلهم لأن يكونوا غزاة أو جُنداً، وأن ليس

<sup>٧٠</sup> إيداد خالد الطباع، محمد الطاهر ابن عاشور، .....٩٥.

<sup>٧١</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، جزء ١، .....٥٨-٦٢.

حظ القائم بواجب التعليم دون حظ الغازي في سبيل الله من حيث إن كليهما يقوم بعمل لتأييد الدين.

## ٢. الارتباط بالسياق الاجتماعي

بالإضافة إلى شرح السياق الذي ترتبط به الآية وتفسيرها بالآيات السابقة أو التالية، قام ابن عاشور أيضًا بشرح العلاقة بين الآية والوضع الاجتماعي للمجتمع في ذلك الوقت، بما في ذلك التحديات والأحداث والمشكلات التي يواجهها المسلمون. قال ابن عاشور:

فهذا يؤيده بتوسع سلطانه وتكثير أتباعه، والآخَرُ يؤيده بتثبيت ذلك السلطان وإعداده لأن يصدر عنه ما يضمن انتظام أمره وطول دوامه، فإن اتساع الفتوح وبسالة الأمة لا يكفیان لاستبقاء سلطانهما إذا هي خلت من جماعة صالحه من العلماء والسَّاسة وأولي الرأي المهتمين بتدبير ذلك السلطان ، ولذلك لم يثبت ملك اللمتونيين في الأندلس إلا قليلاً حتى تقلص ، ولم تثبت دولة التتار إلا بعد أن امتزجوا بعلماء المُدن التي فتحوها ووكّلوا أمر الدولة إليهم .

من توضيحات ابن عاشور يمكن نرى أنه يعلن عن أهمية توسيع السلطة والتعليم، وأنهما يدعمان بعضهما البعض. ويشدد على أهمية توسيع السلطة لتوسيع نفوذ الدين وزيادة عدد المتبعين، في حين يهدف التعليم إلى الحفاظ على استقرار واستمرارية هذه السلطة. وتسلب الجملة الضوء أيضًا على أن النجاح في احتلال الأراضي وشجاعة الأمة وحدها ليست كافية للحفاظ على السلطة إذا لم تكن هناك مجموعة جيدة من العلماء والسياسيين والمفكرين المشتركين في إدارة هذه السلطة.

وفقاً لما قاله ت.م. حسبي الصديقي، فإن دراسة العلم مُلزِمة بنفس وجوب الجهاد والدفاع عن الوطن. فالوطن يحتاج إلى جنود يدافعون عنه ويحمونه بالقوة والسلاح، ويحتاج أيضاً إلى أهل العلم الذين يعدون<sup>٧٢</sup> السياسات والاستراتيجيات المختلفة لتقدمه. ووضع الآيات التي تشير إلى فضل العلم وضرورة دراسته في وسط آيات الجهاد والحرب هو من معجزات القرآن الكريم التي تعطي فهماً بأن الحرب تتطلب المعرفة والمهارة بشكل أكبر من الأسلحة.<sup>٧٢</sup>

### ٣. تفسير المعنى الحرفي

للحصول على فهم أكثر شمولية، قدم ابن عاشور أيضاً شرحاً للمعنى الحرفي أو اللغوي للآية استناداً إلى اللغة العربية وقواعد النحو المستخدمة. قال ابن عاشور: وإذ قد كانت الآية السابقة قد حُرِّضت فريقاً من المسلمين على الالتفاف حول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغزو لمصلحة نشر الإسلام ناسب أن يُذكر عقبها نَفْر فِريق من المؤمنين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للتفقه في الدين ليكونوا مرشدين لأقوامهم الذين دخلوا في الإسلام.

ومن محاسن هذا البيان أن قابل صيغة التحريض على الغزو بمثلها في التحريض على العلم إذ افتتحت صيغة تحريض الغزو بلام الجحود في قوله: "ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب" [التوبة : ١٢٠] الآية وافتتحت صيغة التحريض على العلم والتفقه بمثل ذلك إذ يقول: "وما كان المؤمنون لينفروا كافة".

<sup>72</sup> Teungku Muhammad Hasbi Ash-Shiddieqy, *Tafsir Al-Qur'an Al Majid An-Nuur*, (Semarang: Pustaka Rizki Putra, 2000), 1760.

الميزة في هذا التعبير هي أن النداء للقتال يتبع بالنداء نفسه في سعي العلم الديني. يصف الجملة أن النداء للقتال يبدأ بالعبارة "ما كان لأهل المدينة" دون استثناء، بينما يبدأ النداء للسعي إلى العلم الديني بالعبارة "وما كان المؤمنون" مع استثناء "كافة" (الجميع).

من الناحية الحرفية، "ما كان" يعني "لا ينبغي" أو "غير ملائم" للقيام بشيء ما. ومع ذلك، في سياقات مختلفة، تتغير المعاني والأهداف. في الآية ١٢٠، يستخدم "ما كان" للإشارة إلى أن القتال لا ينبغي أن يحدث إلا في حالة الضرورة وبالتحضير الكافي. توفر الآية حدودًا وفهًا لمتى وكيف يجب على المسلمين المشاركة في الصراع. بينما في الآية ١٢٢، يستخدم "ما كان" لتأكيد أهمية طلب علم الدين. تشير الآية إلى أن ليس على الجميع القتال، بل يجب على بعضهم التركيز أيضًا على طلب العلم الديني وتقديم النصيحة لقومهم. بعبارة أخرى، طلب العلم وتعميق فهم الدين هو واجب يجب أن يؤديه بعض الأشخاص.

وهذه الجملة معطوفة على مجموع الكلام الذي قبلها فهي جملة ابتدائية مستأنفة لغرض جديد ناشئ عن قوله: "مالكم إذا قيل لكم انفروا" - ثم عن قوله - "ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا" الخ. ومعنى "أن يتخلفوا" هو أن لا ينفروا، فناسب أن يذكر بعده "وما كان المؤمنون لينفروا كافة".

يوضح ابن عاشور أن الجملة تُستخدم أيضًا لمواصلة النقاش السابق وإدخال هدف جديد. يتم تقديم هذه الجملة بكلمة "فهي جملة ابتدائية مستأنفة" لهدف جديد يظهر بعد ذكر الآيات السابقة التي تتحدث عن أمر القتال. الهدف الجديد مرتبط بالآيات مثل "مالكم إذا قيل لكم انفروا"

و "ما كان لأهل المدينة" التي تعني أن المؤمنين لا ينبغي أن يمتنعوا عن القتال. لذلك، بعد ذكر ذلك، يتم الذكر أيضًا "وما كان المؤمنون لاتفروا كافة".

وتلك التوضيحات تربط الجملة بالجملة السابقة، مما يساعد على فهم أنه يُحث المسلمين المؤمنين على المشاركة الفعّالة في الحالات التي تتطلب الجهاد أو القتال. يُظهر ذلك أهمية التضامن والمشاركة الكاملة من جميع المؤمنين في سبيل الحفاظ على العدل والدفاع عن دينهم. وبالتالي، توفر هذه التوضيحات فهمًا للمعنى والعلاقة بين الجمل في سياق الآية التي يتم تفسيرها بواسطة ابن عاشور.

#### ٤. معنى المفردات

بصفتي مفسرًا الذي يولي اهتمامًا كبيرًا للجوانب اللغوية، فمن المؤكد ألا يفوتني في شرح الإمكانات الأعمق أو الرمزية التي يمكن استخلاصها. فيما يلي شرح ابن عاشور للمفردات المستخدمة في هذه الآية:

#### أ. النفر

وفقًا لابن عاشور، فإن الكلمة "نَفَرٌ" لها معنيان من المعاني الممكنة، الأولى هي الخروج في سياق الجهاد البدني، والثانية هي الخروج لتعميق الدين. فيما يلي شرح ابن عاشور:

#### ١. سياق الجهاد البدني

قال ابن عاشور: والمراد بالنفير في قوله: "لينفروا" وقوله: "فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة" الخروج إلى الغزو المأخوذ من قوله: "يأيتها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثأقتلتم إلى الأرض" أي وما كان المؤمنون لينفروا ذلك النفر كلهم.

## ٢. سياق لتعميق الدين

ويجوز أن يكون المراد من النفر في قوله: "لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة" نفراً آخر غير النفر في سبيل الله، وهو النفر للتفقه في الدين، وتكون إعادة فعل (ينفروا) و (نَفَر) من الاستخدام بقريظة قوله: "ليتفقهوا في الدين" فيكون الضمير في قوله: "ليتفقهوا" عائداً إلى "طائفة" ويكون قوله: "وما كان المؤمنون لينفروا كافة" تمهيداً لقوله: "فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة".

## ب. واو الجماعة (ضمير ليتفقهوا)

فضمير "ليتفقهوا في الدين" يجوز أن يعود على قوله: المؤمنون، أي ليتفقه المؤمنون. والمراد ليتفقه منهم طائفة وهي الطائفة التي لم تنفر، كما اقتضاه قوله: "فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة"، فهو عام مراد به الخصوص.

ويجوز أن يعود الضمير إلى مفهوم من الكلام من قوله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ لأن مفهومه وبقية طائفة ليتفقهوا في الدين، فأعيد الضمير على طائفة بصيغة الجمع نظراً إلى معنى طائفة، كقوله — تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ على تأويل اقتتل جمعهم.

ومن توضيحات ابن عاشور، تُظهر كلمة "نَفَرٌ" معانٍ قابلة للتفسير في سياق عام وخاص. في السياق العام، تشير "نَفَرٌ" إلى الخروج أو الانطلاق للمشاركة في الحرب أو الجهاد البدني. وهذا هو المعنى العام المرتبط بأمر القتال في الآية.

ومع ذلك، في سياق التفسير الخاص لابن عاشور، يُعطى "نَفَرٌ" أيضاً معنى إضافياً متعلق بالجهود المبذولة لتعميق فهم الدين. في هذا السياق، تشير "نَفَرٌ" إلى الخروج أو الانطلاق لاكتساب المعرفة والفهم الأعمق لتعاليم الدين.

إذاً، يُمكن تفسير كلمة "نَفَرٌ" على نطاق واسع في هاذين السياقين، والتي تشمل الجانب البدني للحرب والجانب الفكري لتعميق فهم الدين.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن فهم الضمير المشار إليه في كلمة "لِيَتَفَقَّهُوا" من خلال ربطه بآية أخرى. وقال ابن عاشور: ويجوز أن يعود الضمير إلى مفهوم من الكلام من قوله: "فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة" لأن مفهومه وبقيت طائفة ليتفقها في الدين، فأعيد الضمير على "طائفة" بصيغة الجمع نظراً إلى معنى طائفة، كقوله تعالى: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا" على تأويل اقتتل جمعهم.

ومن توضيحات ابن عاشور، يمكن الفهم أنه في شرح معنى الضمير الذي يعود إلى عبارة "لِيَتَفَقَّهُوا في الدين" في الآية، استخدم ابن عاشور نهجين:

١. قاعدة "العام المراد به الخصوص": ابن عاشور يطبق هذه القاعدة بالإشارة إلى أن

الضمير يمكن أن يشير إلى "طائفة" وهي كلمة جمع تشير إلى مجموعة محددة أو

فئة معينة من المؤمنين. وبالتالي، يتم التركيز على هذه الفئة لتعميق فهم الدين.

٢. منهج الارتباط بآيات أخرى المتعلقة: يستخدم ابن عاشور أيضًا هذا النهج عند

الإشارة إلى آية أخرى في القرآن الكريم، وهي "وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا"

وتعني "وإن اشتبكت طائفتان من المؤمنين" (الحجرات: ٩). في هذا التفسير، يفسر

ابن عاشور أن الضمير يشير إلى مجموعة مختلفة من المؤمنين المشاركين في المعركة

في سبيل الله.

باستخدام النهجين المذكورين، يقدم ابن عاشور توضيحًا أكثر تفصيلاً حول معنى الضمير

في سياق الآية.

وقد نقل عن أئمة المفسرين وأسباب النزول أقوال تجري على الاحتمالين. والاعتماد في

مراجع الضمائر على قرائن الكلام على عادة العرب في الإيجاز والاعتماد على فطنة السامع فإنهم

أمة فطنة.

لذلك، في سياق تفسير القرآن، فهم اللغة العربية بشكل جيد ومعرفة العادات والخصائص

اللغوية العربية يمكن أن يوفر ميزة في فهم معاني وسياق القرآن بشكل أفضل. كان العرب في عصر

النبي محمد هم الصحابة والمفسرون الأوائل للقرآن. كان لديهم فهم أعمق للغة والثقافة العربية في

ذلك الوقت. لذلك، فإن المفسرين الأوائل للقرآن الذين كانوا من العرب يمتلكون رؤية وفهماً أعمق لسياق القرآن.

والإتيان بصيغة لام الجحود تأكيد للنفي، وهو خبر مستعمل في النهي فتأكيده يفيد تأكيد النهي، أي كونه نهياً جازماً يقتضي التحريم. وذلك أنه كما كان النفر للغزو واجباً لأن في تركه إضاعة مصلحة الأمة كذلك كان تركه من طائفة من المسلمين واجباً لأن في تمحض جميع المسلمين للغزو إضاعة مصلحة للأمة أيضاً، فأفاد مجموع الكلامين أن النفر للغزو واجب على الكفاية أي على طائفة كافية لتحصيل المقصد الشرعي منه، وأن تركه متعين على طائفة كافية منهم لتحصيل المقصد الشرعي مما أمروا بالاشتغال به من العلم في وقت اشتغال الطائفة الأخرى بالغزو. وهذا تقييد للإطلاق الذي في فعل "انفروا"، أو تخصيص للعموم الذي في ضمير "انفروا". ولذلك كانت هذه الآية أصلاً في وجوب طلب العلم على طائفة عظيمة من المسلمين وجوباً على الكفاية، أي على المقدار الكافي لتحصيل المقصد من ذلك الإيجاب. وأشعر نفي وجوب النفر على جميع المسلمين وإثبات إيجابه على طائفة من كل فرقة منهم بأن الذين يجب عليهم النفر ليسوا بأوفر عدداً من الذين ييقون للفقهاء والإنذار، وأن ليست إحدى الحالتين بأولى من الأخرى على الإطلاق فيعلم أن ذلك منوط بمقدار الحاجة الداعية للنفر، وأن البقية باقية على الأصل، فعلم منه أن النفر إلى الجهاد يكون بمقدار ما يقتضيه حال العدو المغزوء، وأن الذين ييقون للفقهاء ييقون بأكثر ما يستطيع، وأن ذلك سواء. ولا ينبغي الاعتماد على ما يخالف هذا التفسير من الأقوال في معنى الآية وموقعها من الآي السالفة.

وأشار قریش شهاب في تفسير المصباح أيضاً إلى أن هذه الآية تؤكد على أهمية تعميق العلم ونشر المعلومات الصحيحة. فإنه ليس أقل أهمية من الجهود المبذولة للحفاظ على الأراضي. بل إن الدفاع عن الأراضي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإنسان.<sup>٧٣</sup>

عبد الله كريم في كتابه " مسئوليات الإنسان العامة في القرآن " يشير إلى أن في ظروف غير ملحة مثل هذه، الحرب وتعميق العلم الديني تحتلان مكانة متساوية من الأهمية، ويحتاج إلى أشخاص ذوي الخبرة، وعلى الأقل، يفوقون الآخرين في مجتمعهم. ويمكن فهم ذلك من العبارة التالية: "لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ". تلك العبارة تطلب أن يكون الأشخاص الذي يتعمقون علوم الدين قادرين على أن يكونوا منذرين، ومن هذا النشاط يؤمل في الحصول على نتائج تتمثل في زيادة اليقظة والقدرة على الحماية لدى الأشخاص الذين يحذرون.<sup>٧٤</sup>

ولولا: حرف تخضيض .

حرف التخضيضي (حرف النفي المؤكد)، الكلمة "ولولا" هي كلمة تُستخدم لتعزيز النفي أو التعبير عن شرط لم يتحقق.

الفرقة

والفرقة: الجماعة من الناس الذين تفرقوا عن غيرهم في المواطن، فالقبيلة فرقة، وأهل البلاد الواحدة فرقة.

<sup>73</sup> M. Quraish Shihab, *Tafsir Al Misbah*,....., 290.

<sup>74</sup> Abdullah Karim, *Tanggung Jawab Kolektif Manusia Menurut Al-Qur'an*, ..... , 101.

## الطائفة

والطائفة: الجماعة ، ولا تتقيد بعدد. وتقدم عند قوله: "فلتقم طائفة منهم معك" في سورة النساء.

وتنكير "طائفة" مؤذن بأن النفر للتفقه في الدين وما يترتب عليه من الإنذار واجب على الكفاية. وتعيين مقدار الطائفة وضبط حد التفقه موكول إلى ولاية أمور الفرق فتعين الطائفة بتعيينهم فهم أدري بمقدار ما تتطلبه المصلحة المنوط بها وجوب الكفاية.

## التفقه

والتفقه: تكلف الفقاهاة، وهي مشتقة من فقه (بكسر القاف) إذا فهم ما يدق فهمه فهو فاقه. فالفقه أخص من العلم، ولذلك نجد في القرآن استعمال الفقه فيما يخفى علمه كقوله: "لا تفقهون تسبيحهم"، ويجيء منه فقه بضم القاف إذا صار الفقه سجيته، فقاهاة فهو فقيه.

ولما كان مصير الفقه سجية لا يحصل إلا بمزاولة ما يبلغ إلى ذلك كانت صيغة التفعّل المؤذنة بالتكلف متعينة لأن يكون المراد بها تكلف حصول الفقه، أي الفهم في الدين. وفي هذا إيحاء إلى أن فهم الدين أمرٌ دقيق المسلك لا يحصل بسهولة، ولذلك جاء في الحديث الصحيح "من يرد الله به خيراً يَفْقَهُهُ في الدين"، ولذلك جزم العلماء بأن الفقه أفضل العلوم.

وقد ضبط العلماء حقيقة الفقه بأنه العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية بالاجتهاد .

## والإنذار

الإنذار: الإخبار بما يتوقع منه شر. والمراد هنا الإنذار من المهلكات في الآخرة. ومنه النذير. وتقدم في قوله تعالى: "إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً" في سورة البقرة، فالإنذار هو الموعظة، وإنما اقتصر عليه لأنه أهم، لأن التخلية مقدمة على التحلية، ولأنه ما من إرشاد إلى الخير إلا وهو يشتمل على إنذار من ضده. ويدخل في معنى الإنذار تعليم الناس ما يميزون به بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ وذلك بأداء العالم بث علوم الدين للمتعلمين.

وحذف مفعول "يحذرون" للتعميم، أي يحذرون ما يُحذر، وهو فعل المحرمات وترك الواجبات. واقتصر على الحذر دون العمل للإنذار لأن مقتضى الإنذار التحذير، وقد علمت أنه يفيد الأمرين.